

## النوع الخامس

## الفراشي والنومي

من أمثلة الفراشي قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعصُكُم مِّنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] كما تقدم، وآية الثلاثة الذين خَلَفُوا، ففي الصحيح: أنها نزلت وقد بقي من الليل ثلثه، وهو ﷺ عند أم سلمة. واستشكل الجمع بين هذا وقوله ﷺ في حق عائشة: «ما نزل عليّ الوحي في فراش امرأة غيرها» [البخاري: ٣٧٧٥]. قال القاضي جلال الدين: ولعل هذا كان قبل القصة التي نزل الوحي فيها في فراش أم سلمة. قلت: ظفرت بما يؤخذ منه الجواب الذي أحسن من هذا، فروى أبو يعلى في «مسنده» [٤٦٢٦] (٢٧٠): عن عائشة قالت: أُعْطِيتُ تسعاً... الحديث، وفيه: وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فينصرفون عنه، وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه. وعلى هذا لا معارضة بين الحديثين كما لا يخفى.

وأما التومي: فمن أمثلته سورة الكوثر، لما روى مسلم [٨٩٤] عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً، ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: «أنزل عليّ آتفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَىكَ الْكُوثَرَ ﴿١﴾ فَضَلَّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرَ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْآبِتْرُ﴾».

وقال الإمام الرافعي<sup>(١)</sup> في «أماله»: فيهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الإغفاءة، وقالوا: من الوحي ما كان يأتيه في النوم؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي. قال: وهذا صحيح، لكن الأشبه أن يقال: إن القرآن كله نزل في اليقظة، وكأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة، أو عرض عليه الكوثر الذي وردت فيه السورة، فقرأها عليهم، وفسرها لهم. ثم قال: وورد في بعض الروايات أنه أُعْجِمِي عليه، وقد يُحمَل ذلك على الحالة التي كانت تعتربه عند نزول الوحي، ويقال لها: بُرْحَاء<sup>(٢)</sup> الوحي. انتهى.

قلت: الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه، وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه، والتأويل الأخير أصح من الأول؛ لأن قوله: «أنزل عليّ آتفاً» يدفع كونها نزلت قبل ذلك، بل نقول: نزلت في تلك الحالة، وليس الإغفاءة إغفاءة النوم، بل الحالة التي كانت تعتربه عند الوحي، فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا.

(١) الرافعي: عبد الكريم بن محمد القزويني، من كبار الفقهاء الشافعية. له: الأمالي الشارحة لمفردات الفاتحة - خ.

(ت: ٦٢٣ هـ). «طبقات الشافعية» ١١٩/٥، «الأعلام» ٥٥/٤.

(٢) بُرْحَاء: شدة، يقال: بُرْحَاءُ الحُمَى وغيرها: شدة الأذى. «القاموس».